من سوق فارس حتى ساحة المدينة ، فان **المقاومة ما تزال مستمرة** »(٢٢).

وهكذا يبقى القطاع نبعا « لصداع رئيسي » تعاني منه قوات الاحتلال(٢٣) كما انه يبقى ثمرة احتلال ولكنها « ثمرة مرة »(٢٤).

ان السؤال الاساسي الذي يجابهنا في الحال هو **لماذا** ؟. لماذا يشهد القطاع تلك المقاومة الضارية للاحتلال في ظل الاوضاع التي سبق وشرحنا ؟ ولماذا ذلك التمايز بينه وبين ما يجري في الضفة الغربية او الهضبة او سيناء مثلا ؟ العوامل الرئيسية الكامنة وراء ذلك الوضع المتفجر بالمقاومة في القطاع يمكن ان تعزى الى اربعة اسباب رئيسية :

اولا : الاحتلال الاسرائيلي ذاته . ولهذا العامل جانبان : اولها ان اي احتلال لاي بقعة في العالم لا بد وان يولد رد فعل طبيعي ومنطقي يعبر عن نفسه بالمقاومة(٢٥). وهذا هو سبب رئيسي من اسباب ظهور المقاومة الفلسطينية(٢٦) وثانيهما ان العسف والاضطهاد الاسرائيليين ، وهما من «ثمار» الاحتلال ، كان لا بد من ان يشعلا فتيل المقاومة الفلسطينية ويزيدان من توهج نارها بشكل مستمر. ولعل هذا هو سبب حيرة مسؤول اسرائيلي كبير مثل « شلومو جازيت » الذي نراه يشكو من ان اجراءات العسف لم تعط الا نتائج عكسية(٢٧).

ثانيا : انه اتيحت لقطاع غزة ، بحكم ظروفه التاريخية ما قبل ١٩٦٧ ، فرصة نادرة للتدرب على السلاح واقتنائه(٢٨). وهذه حقيقة معروفة لكل من يعرف القليل او الكثير عن المنطقة . فالقطاع كان الجزء الاوحد من ارض فلسطين المتبقية الذي اتيحت له فرصة الاستفادة من ظهور منظمة التحرير قبل العام ١٩٦٧ .

ثالثا : انه في الوقت الذي نجحت فيه السلطات الاردنية في سحق الحركة الوطنية في الضفة الغربية في العام ١٩٦٦ (حزب البعث ، حركة القوميين العرب والحزب الشيوعي) فان الحركة الوطنية في غزة ، وبالذات حركة القوميين العرب ، كانت حركة نامية .. وهكذا وفي اللحظة التي خيم فيها ظلام الاحتلال على قطاع غزة كانت « تحت الارض » هناك حركة وطنية ، منظمة وان محدودة ، شكلت، بحكم ما تملكه من خبرات تنظيمية ، نواة سرعان ما نجحت في استقطاب الجماهير وتحريكهم من جهة كما ونجحت في جعل الجماهير معينا لا ينضب لتزويد المقاومة العسكرية برجالها الضروريين لها . لقد كانت تلك النواة . بحكم خبراتها السياسية والعسكرية وبحكم توفر السلاح في ايديها ، كانت بمثابة « الكلية العسكرية الخفية » التي زودت المقاومة برجالها . ولعل هذا العامل يفسر قول روبرت جراهام : « وفي الاشهر القليلة الماضية كانت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المتطرفة والمسؤولة عن خطف الطائرات في العام الماضي ، هي الفصيل الفدائي الاكثر نشاطا »(٢٩).

يضاف الى هذا طبعا كون عدد من المنظمات الفدائية ، خاصة فتح وقوات التحرير الشعبية ، قد نجحت في ادخال عدد من عناصرها للعمل في المنطقة منذ العام ١٩٦٧ .

رابعا : الطبيعة المتفجرة للوضع الاقتصادي — الاجتماعي — الطبقي في القطاع والتي ساعدت على توليد مناخ اكثر ثورية من أية منطقة من المناطق المحتلة وجعلت سكانه في حالة كانوا معها اكثر استعدادا للعطاء والتضحية . فما هي تلك الطبيعة الاقتصادية — الاجتماعية — الطبقية المشار اليها ؟

من المعروف ان مساحة القطاع مساحة صغيرة نسبيا اذ لا تتجاوز بمجموعها الـ ٩٩،٦ ميلا مربعا . ويعيش على تلك الرقعة الصغيرة ما يقارب النصف مليون مما يجعل كثافة السكان بحدود ٦٠٠٠ نسمة في الميل المربع الواحد . اي انها تعادل مئة ضعف كثافة السكان في الولايات المتحدة وهي، بالتالي، أعلى كثافة للسكان في العالم(٣٠). وبالاضافة الى وجود ذلك العدد الهائل نسبيا من السكان فان موارد المنطقة محدودة اذ ان ما بين ثلث ونصف اراضيها عبارة عن صحراء قاحلة(٣١). ويشكل النازحون الأغلبية الساحقة للسكان (اكثر من ٣٥٠ الفا) وهؤلاء يعتاشون ، نتيجة لانعدام فرص العمل ، على ما تقدمه لهم وكالة الاغاثة من النذر القليل من الغذاء(٣٢). وفي القطاع اكبر مخيمات النازحين في العالم اذ يبلغ عدد سكان مخيم رفح مثلا ٤٩،٠٠٠ نازح(٣٣). وقد ارتفع عدد سكان القطاع من ٢٧،٤٠٠ في ١٩٤١ الى ٢٩٤،٨٦٩ (منهم ٢٠٤،٠٦٨ نازحا) ١٩٥١ الى ٣٧٠،٢٢٩ (منهم ٢٦٤،٨١٣ نازحا) ١٩٦١ . وقبل العام ١٩٦٧ بقليل كان عدد المسجلين في الاونروا من النازحين يزيد على الـ ٣٥٠ الفا بالاضافة الى ١٠٠ الف غير مسجلين منهم ٧٠ الفا يعانون من فقر مدقع(٣٤).

ومع ان الوضع الاقتصادي قد تحسن بشكل واضح قبل حزيران ١٩٦٧ خاصة بتدفق اموال ابناء القطاع العاملين في مناطق الكويت والخليج العربي ، الا